النشاط التجاري للشركة العثمانية الانكليزية في الشرق ١٥٨١-١٥٨٨

الكلمات المفتاحية : النشاط – العثمانية – الشرق

البحث مستل من رسالة ماجستير

أ.م.د وسام علي ثابت سارة قدوري لطيف

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية

Dr.wisam2001@yahoo.com sara.kadore@gmail.com

الملخص

تناول البحث تأسيس شركة تجارية عاملة في اراضي الدولة العثمانية في عام ١٥٨١ ، ضمن صلاحيات معينة وداخل رقعة جغرافية محددة من قبل التاج ، يبين البحث جهود السفراء الاوائل في ترسيخ عمل الشركة الانكليزية في الشرق عام ١٥٨١ ومدى صلاحية السفير في تحديد الموانئ وتعيين القناصل التابعين للشركة ، ونجاح عمل الشركة التجاري خلال المدة ١٥٨١-١٥٨٨ على الرغم من المعوقات التي واجهتها خلال المدة المذكورة ، وترسيخ مكانتها في اراضي الدولة العثمانية .

المقدمة

تعد التجارة احدى الركائز الاساسية التي بنيت عليها اقتصاديات الدول الرأسمالية الاستعمارية في العصر الحديث الى جانب الزراعة والصناعة ،فقد تبلورت على اساسها حركة الاستعمار الاوربي بشكل عام والانكليزي بشكل خاص ،الذي توقف على مدى قدرة انكلترا في التوسع التجاري-الاقتصادي تجاه تلك البلدان ،لذا فان توجه انكلترا الى تأسيس شركة تجارية لها ضمن اراضي الدولة العثمانية هو جزء من استراتيجية بعيدة المدى يراد منها تأمين طرق التجارة ما بين اوروبا والهند واراضي الدولة العثمانية، اقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى مقدمة واربعة محاور وخاتمة .. تناول المحور الاول جهود السفراء الاوائل في ترسيخ عمل الشركة الإنكليزية في الشرق عام ١٥٨١ ، اما المحور الثاني فقد تضمن تنامي نشاط الشركة في الشرق ١٥٨٣-١٥٨٧، فيما ناقش المحور الثالث اهم المشكلات التي واجهتها الشركة في اماكن امتيازها في الشرق، واخيرا تناول المحور الرابع نجاح الشركة في عملها التجاري في الشرق عام ١٥٨٨ ،تطلبت الدراسة الرجوع الى عدد من المصادر ذات العلاقة بالشركة العثمانية الانكليزية ومنها كتاب ايشتاين الذي نشر

١٩٦٨ الطبعة الثانية(*The Early History of the Levant Company*) التاريخ المبكر لشركة الليفانت ، يعد من اهم المصادر التي كتبت عن تاريخ الشركة المبكر وعن اهمية الشركة التجارية والسياسية، ومن الكتب الرصينة التي عنيت بدراسة الشركة كتاب الفريد وود في (*A History of the Levant Company*) تاريخ شركة الليفانت ،الذي يعد من اهم المصادر التي تابعت نشاط الشركة بشكل كامل .

المحور الاول : جهود السفراء الاوائل في ترسيخ عمل الشركة الانكليزية في الشرق عام ١٥٨١

سعى هاربورن[١] وهو السفير الاول للشركة الانكليزية العاملة في الشرق منذ تسلمه العمل للقيام بمهامه بجدية عالية، فكان من اولويات عمله تنظيم صلاحيات وعمل القناصل وتحديد الموانئ الضرورية للعمل على ترسيخ الامتيازات التجارية، وبذلَ جهودًا كبيرةً لضمان احترام تلك الامتيازات، وسن القوانين للسيطرة على تجارة البضائع الانكليزية إلى الشرق، ومعاقبة المنتهكين[٢].

اتخذ وليم هاربورن الخطوات الأولية لتنظيم عمله السياسي والتجاري لشركة ليفانت، وبدأ بتأسيس الشركة خلال عامين من تفويض الشركة من ١٥٨١-١٥٨٣ استطاع تحديد الموانئ والبلدان التي ترسو فيها سفن الشركة، وسن القوانين الخاصة بالشركة للسيطرة على البضائع الانكليزية، وبناءً على الصلاحيات التي منحت لهاربورن قام بتعيين القناصل في المدن التجارية التابعة للدولة العثمانية ١٥٨٣، والتي اقرتها الشركة للتجارة ضمن السياسة المعمول بها والمتفق عليها[٣].

حدد هاربورن عدد السفن التي تبحر سنويًا، وعدد الرحلات، وعدد البحارة من خلال توليه المنصب، وكان ذلك من الناحية التجارية، إلَّا أَنَّ هاربورن كانت لَهُ طموحات بالتعاون العسكري مع الدولة العثمانية ضد اسبانيا، بسبب العداء الانكليزي الاسباني آنذاك[٤].

قام هاربورن بتعيين هارفي ميلرز *Harrive Mellers* في عام ١٥٨٣ قنصلًا للشركة في القاهرة والإسكندرية، وباقي أجزاء مصر المتاخمة[٥]، وعين ريتشارد فورستر *Rethchard Forester* قنصلًا للشركة في حلب، ودمشق، وعمان، وطرابلس، والقدس، وكلّ موانئ مدن سوريا، وفلسطين، والأردن، وأمرهُ أَنْ يتخذ من طرابلس مقرًا لَهُ[٦].

عمل هاربون بصلاحيات قاضي خصومات الجالية الانكليزية بموجب الامتيازات انكلترا وقوانينها وأعرافها، وكان ضامنًا لتنفيذ أوامر الشركة وقراراتها، وأهم ما ميّزَ عمله هو قضائه على ظاهرة استيراد أو الاتجار بالعملة الزائفة(٧)، وعمل على إلزام الربانية والتجار على أَنْ يقسموا يمينًا على سلامة إيصال جميع السلع المحمولة إلى الميناء(٨).

تمكن هاربورن على الرغم من التنافس بين انكلترا، وفرنسا، والبندقية الذين سعوا لإلغاء معاهدة الامتيازات الانكليزية، من تخفيض الضرائب الكمركية الواجب دفعها للعثمانيين من قبل الانكليز من ٥%-٣%، ويعد ذلك مكسبا مهما عليه للإنكليز مقارنةً مع نظرائهم من الفرنسيين والبنادقة(٩).

أرسلت الشركة العثمانية خمسة أشخاص عام ١٥٨٣ بناءً على رغبة اوزبورن وستيير اللذين كانا يملكان طموحًا عاليًا في ميدان التجارة، قصد هؤلاء طرابلس في سوريا، ومنها إلى مضيق هرمز *Ormus* ثم إلى جوا في شرق الهند Coq فكمبايا *Cambaia* وفي أنحاء مملكة زيلا بديم ايجبار *Zelabdim Echebar* ونهر الكانج الكبير *Canges* ثمَّ الانحدار نحو بنغالا وباكولا *Bacola* ثمَّ ستوندري *Chonderi* وبيجو Pegu واماهاي في سيام *Imahay* ثمَّ والعودة إلى بيجو ومنها إلى ملقاMalacca، زيلان *Zeilan* ثمَّ كوشين *Cochin* وأخيرًا على امتداد ساحل شرق الهند(١٠)، وثم من هرمز إلى البصرة، ومنها إلى الموصل، ثمَّ إلى ماردين *Mardin* بعدها إلى مدينة *Bir* البير، ومنها إلى حلب، ومنها إلى طرابلس، وهناك أقلت السفينة الشخص الوحيد الذي عاد بعد رحلته التي دامت ثمانية أعوام(١١). كانَ من بين الخمس أشخاص هم جون ايلدرد *John Elderd*(١٢)، وجون نيوبري *John Newberie*(١٣)، الذي كانَ يحمل رسالة من الملكة إليزابيث (١٥٥٨-١٦٠٣) إلى الإمبراطور أَكبر خان(١٤) (إمبراطور المغول) ورسالة أُخرى إلى إمبراطور الصين، وجاء في الرسالة الأولى "**بمشيئة الله إلى الإمبراطور الأكبر ملك كمباي الذي لا يقهر، نظرًا للرغبة الشديدة لرعايانا في زيارة بلادكم وممارسة النشاط التجاري مع الأمم الأخرى، ونرسل إلى جلالتكم أحد رعايانا جون نيوبري مع مرافقيه، ونحن موقنون بأَنَّ جلالتكم ستستقبلونهم بترحاب كبير**"(١٥)، وهنا يبين لنا مدى الاهتمام الكبير من قبل الملكة اليزابيث والاوساط الحاكمة بالشركة، وذلك لما تقوم به من دور كبير على الصعيدين التجاري والسياسي.

المحور الثاني: تنامي نشاط الشركة في الشرق ١٥٨٣-١٥٨٧:

ضمت الرحلة التي أقلت التجار الخمسة على السفينة Tyger تايكر، فضلًا عن نيوبري وايلدرد كلا من *Ralph Fitch* ورالف فيتش[١٦]، وهو أهم من في الرحلة لكونه احد مديري الشركة، ووليم ليدرز جولير *William Leed Jeweller*[١٧]، وجيمس ستوري بنتر *James Story Painter*[١٨]، تميزت تلك الرحلة بأهمية بالغة، لأَنَّها ضمت اثنين من مديري الشركة العثمانية وهما جون نيوبري ورالف فيش، فضلا من المعلومات التي أفاد منها هاربورن، إذ ايقن أَنَّ عليه اليقظة والحذر للحفاظ على مصالح بلاده من خطر منافسيه، من خلال قيامه بتعزيز القنصلية في حلب التي تعد من اهم المراكز التجارية الانكليزية، فقام بتعيين جون باريت قنصلًا فيها[١٩].

وكان جون باريت قد رافق جون نيوبري عام ١٥٨٣ في رحلتهِ إلى الشرق، وبقي فيها حتّى وفاته، كما عين في آذار ١٥٨٥ جون ترتبون *John Tribiton* قنصلًا في الجزائر، وتونس، وطرابلس، فضلًا عن تأسيسه قنصليات في المحطات التجارية كافة في أنحاء الأراضي العثمانية[٢٠].

تميزت حلب لكونها مركزًا تجاريًا مهما للتجارة الانكليزية (للشركة العثمانية) اذ كانت تجني ارباحاً هائلة من خلال تلك التجارة، بعد أَنْ انتقل مركز التجارة الرئيس إليها من طرابلس، وكان للشركة عشر مؤسسات على الشاطئ السوري ما عدا الاسكندرونة، وذلك ما جعل الشركة تعين جون باريت قنصلًا مستقلًا في حلب عام ١٥٨٣[٢١].

نستنتج من ذلك أنَّ الفضل يعود لفيتش بأَنَّهُ مهد الطريق للإنكليز نحو الشرق والشرق الأقصى، وذلك باتخاذه طريقًا غير مألوف في طريق عودته من هرمز إلى اسيا الصغرى مرورا بالبصرة وبغداد، فبدلًا من أَنْ يتخذ طريقه الأقصى من هناك توجه فيتش لأغراض تجارية لزيارة اثنين من المراكز التجارية في آسيا الصغرى، وهما على التوالي موصل وماردين *Mardeen* ومن هناك رحل عن طريق البير *Al Bir* عبر الفرات إلى حلب[٢٢].

كانَ هدف الرحلة هو تجربة طريق الفرات لمعرفة مدى صلاحيته للملاحة، وقد ذكر فيتش أَنَّ بغداد مركز مهم لتجارة الترانزيت، إذ كانت تمر بها القوافل المتجهة إلى الدولة العثمانية وفارس، وأَنَّ البصرة مركز مهم لتجارة التوابل والعقاقير المستوردة من الهند[٢٣].

إنَّ أهمية العراق للتجارة الانكليزية التي بينتها رحلة فيتش ونيوبري دفعت الملكة إليزابيث عام ١٥٨٥ الى إعطاء الرخصة للشركة العثمانية للتجارة مع العراق، وذلك لكونها أحد ولايات الدولة العثمانية، بعد أَنْ أخذت انكلترا في أواخر القرن السادس عشر تسعى للحصول على حصتها من ثروات التجارة في الشرق بعد تراجع قوة الأسطولين الاسباني والبرتغالي[٢٤].

قدم فيتش معلومات مفصلة عن المناطق التي مَرَّ بها من اهمية التجارة لتلك المناطق[٢٥] حددت تلك المعلومات أسعار البضائع، ونوعيتها، وأماكن وجودها[٢٦]، إلَّا أَنَّ ذلك الطريق على الرغم من طوله كانَ محفوفًا بالمخاطر، فضلًا عن الضرائب الكثيرة في أقاليم الدولة العثمانية، والمشكلات التي كانَ يعاني منها التجار الانكليزي عند استخدامهم لَهُ[٢٧].

اتخذ هاربورن من *Pera* بيرا[٢٨] مكانًا لإقامته، وكان ذلك في نهاية ١٥٨٣، وكان أوّل عمل قام به هو إرسال مركب الشركة جيوس *Jesus* إلى طرابلس التي حصلت على إجازتها من قبل اوزبورن وستيبر لحساب الشركة العثمانية، وتم تحميل السفينة بمئة طن من زيت اللوز الحلو[٢٩].

ومن المشاكل التي واجهت الشركة قيام احد رعايا الدولة العثمانية بتقديم شكوى للسلطان العثماني بأَنَّهُ قد أقرض بورتون نافدو *Portron Navado* (وهو أحد التجار الانكليز التابعين للشركة) مبلغ ٤٥٠ كراون (عملة سويسرية)، وأَن الاخير كان قد هرب على متن السفينة جيوس، مما دفع الحكومة العثمانية الى إطلاق النّار على السفينة وإيقاف مسيرتها ومصادرة حمولتها، وتم احتجاز أفراد الطاقم[٣٠]، بعد أَنْ تَمَّ إرسال رسالة من أحد الرهائن لوالده، كتب هاربورن إلى الملكة إليزابيث للتدخل لدى السلطات العثمانية في اسطنبول، للإفراج عن طاقم السفينة، وأرسل رسالة شديدة اللهجة إلى حاكم طرابلس في ١٢ ايار ١٥٨٤ بعدها تم تكليف ادوارد بارتون للتوسط لحل المشكلة[٣١].

استغل هاربورن دهاءه السياسي وحكمته من اجل إطلاق سراح طاقم السفينة، وعُدَّ ذلك تصرفًا ونصرا دبلوماسيًا لهاربورن[٣٢]، حصد هاربون دعمًا واسعًا للشركة في لندن، مِمَّا زاد في ثراء التجار، وأسهم في انضمام بعض القناصل، وأعلنت الملكة إليزابيث عن إسهامها في تأسيس الشركة[٣٣]، كسب هاربورن مدخلًا جديدًا للتجارة الانكليزية بتعيينه هارفي ميلرز قنصلًا في مصر، إذ تُعدُّ مصر أَكبر المنافذ التي من خلالها يمكن الوصول الى اوروبا، فكان يصل الحديد، والأصباغ، وأدوية الشرق، والقهوة العربيّة التي تُعدُّ من أهم المواد التي

تستوردها الشركة من مصر، فضلًا عن الأفيون، كُلّها تجلب للبحر الأحمر عبر التجار العرب، وتنتقل عبر الصحراء إلى القاهرة والإسكندرية[٣٤]، لمبادلة القصدير، والجلود، وشحنات الادوية والتوابل[٣٥].

أرسل هاربورن كُلاً من جون سندرسون *John Sanidirson*[٣٦] ووليام شيلز *William Shiliz* وهما تاجران في الشركة العثمانية إلى مصر من اسطنبول للتحقيق في ظروف التجارة، وعلقوا آمالًا لتحقيق الأرباح في ضوء تقريرهم، بعد أَنْ أرسلت الشركة السفن محملة بالملابس والفلفل عام ١٥٨٦-١٥٨٧، لكن الظروف لم تكن مواتية، وأظهرت تأثيرًا ضارًا للتجارة في مصر، إذ إنَّ كلفة العيش كانت غالية في مصر، فضلًا عن كون الرسوم الكمركية، كانت عالية في الإسكندرية[٣٧].

واجهت الشركة العثمانية مشكلات أُخرى في تجارتها مع مصر، وذلك بسبب منافسة التجار البنادقة على الرغم من تراجع تجارة الأخيرة بين الأعوام ١٥٨٥-١٥٨٦، وهذا ماجعل منافسيهم بالدرجة الاولى هم من الفرنسيين، الذين قاموا بتلفيق تهمة لهارفي ميلرز القنصل الانكليزي التابع للشركة العثمانية ، بادعاء السفير الفرنسي بأَنَّ ميلرز وصف ملك فرنسا وصفًا غير لائق، وبذلك تَمَّ اعتقاله، إلَّا أَنَّ هاربورن أمن هروبه من مصر[٣٨]، كانَ ذلك هو ما سبب ضعف التجارة في مصر.

اضطرت الشركة إلى إعادة تنظيم أوضاعها نهاية عام ١٥٨٧ كإحدى الشركات الخاضعة للتنظيم التجاري الانكليزي[٣٩]، بعد أَنْ عانت من الخسائر المتكررة بسبب القراصنة و فضلا عن الأعباء الأخرى على الشركة، وأصبحت التجارة العثمانية معرضة للخطر بعبور البحر الأبيض المتوسط[٤٠].

المحور الثالث: أهم المشكلات التي واجهتها الشركة في اماكن امتيازها في الشرق:

شهدت علاقات انكلترا الخارجية تطورًا مهمًا، وساعدها في ذلك أتباع اسلوب القوة تجاه الأسبان[٤١]، فقام الانكليز بأعمال قرصنة ضد السفن الاسبانية في المحيط الأطلسي والكاريبي، وكان ذلك يعكس مدى قوة السفن التجارية والحربية الانكليزية آنذاك[٤٢].

فشل هاربورن في الحصول على التعاون البحري ضد الأسبان[٤٣]، وذلك عندما قدم هاربورن في تشرين الثَّاني ١٥٨٧ مقترحًا أو عرضًا للسلطان مراد الثَّالث(١٥٤٦-١٥٩٥) بالتحالف مع انكلترا ضد اسبانيا[٤٤]، لكن الدولة العثمانية رفضت العرض لعدم رغبتها في فتح جبهة

جديدة مع اسبانيا، ففشل في إنجاز تلك المهمة، فطلب العودة إلى لندن، إلَّا أَنَّهُ لم يحصل على موافقة الملكة[٤٥].

استعدت الملكة إليزابيث بالتعاون ١٥٨٨ لقتال اسبانيا مع ملك اسكتلندا بأَنْ أعدت قواتها وأساطيلها للقتال، وأستعد فيليب الثاني لغزو انكلترا[٤٦]، وأعقب ذلك إعلان الحرب رسميًا بين الطرفين، واستطاعت السفن الانكليزية أَنْ تحطم أسطول *Armada* الأرمادا (العظيم)[٤٧] الاسباني في معركة جرافيلنز *Grafienz* عام ١٥٨٨[٤٨].

مهد الانتصار الانكليزي على الأرمادا لمرحلة جديدة من تطور البحرية الانكليزية، ولما قدمتهُ الملكة إليزابيث للمشاريع التجارية والبحرية، مما أعطاها دفعًا قويًا، وعلى أثره فتح الانكليز منافذ جديدة على العالم بعد الاتجاه إلى جزر الهند الشرقية، ووسع المنافذ القديمة في روسيا، وانتشرت التجارة الانكليزية في أوروبا.

تأثر عمل الشركة العثمانية بانعكاسات معركة الأرمادا، لأَنَّ السفن الانكليزية التي ذهبت للقتال كانت مدعومة ببعض المقاتلين ذوي المهارة والخبرة البحرية التابعين للشركة العثمانية، فخسرت بذلك الرجال المهرة والسفن التابعة لها[٤٩].

انتعشت آمال الانكليز برحلاتهم البحرية، بعد أَنْ استعادت البحرية الانكليزية عافيتها، وحققت درجة كبيرة من الازدهار بعد معركة الأرمادا[٥٠].

انعكس النشاط البحري الانكليزي على التجارة بشكل إيجابي، مِمَّا سنح لإنكلترا أَنْ تتخذ عِدَّة إجراءات نحو التطور التجاري والصناعي والنمو الاقتصادي، وقد وضعت أنظمة جيدة سياسية، ودبلوماسية، وبحرية معادية لإسبانيا، والإجراء الثَّاني هو العمليات العسكرية ضدها[٥١]، هيأ ذلك الطريق للرأسمال الانكليزي لشراء الخامات بأسعار مناسبة من المنتجين مباشرة، وقد سعت لذلك بغية الحصول على القطن المصري، والصوف والحرير من سوريا، وكانت ترغب في فتح جميع الأسواق العربيّة أمام بضائعها، وبدأ الانكليز بتوسيع منطقة نفوذهم، وحاولوا عن طريق الشركة أَنْ يسيطروا على اقتصاد مصر[٥٢].

عانت الشركة العثمانية من عِدَّة عقبات، بسبب تراكم السفن في الموانئ بشكل يزيد عن القدرة الاستيعابية لمستودعات البضائع كانَ ذلك نتيجة عدم اتخاذ إجراءات مدروسة لسحب تلك السفن، كما أَنَّ عمليات النقل الداخلي للبضائع بطرق النقل النهرية عجزت عن نقل البضائع المتراكمة في المستودعات، ففي الوقت الذي تكون فيه المدة اللازمة لنقل البضائع

من الموانئ الأوروبية إلى البصرة، ما بين أربعة إلى خمسة أشهر، كانَ نقل البضاعة داخل مدن الدولة العثمانية القريبة يستغرق ما لا يقل عن ثلاثة أشهر، ولذلك فكثيرًا ما كانَ التجار يستلمون الأقمشة الشتوية في بداية حرارة الصيف، مِمَّا يضطرهم إلى خزن البضائع من الجوخ والمنسوجات الصوفية، وتسلم فورًا للمستودعات وهذا يؤثر بطبيعة الحال في قيمة تلك المصنوعات والارباح الاتية من خلالها الى تلك الشركات، فضلا عما يرافق عملية الخزن من اضرار تتسبب عن الرطوبة وعوامل اخرى يؤدي الى تلف قسم من تلك المصنوعات(٥٣).

أصبحت أجور شحن البضائع الداخلية توازي أجور الشحن من لندن إلى موانئ الدولة العثمانية، على الرغم من الفرق الكبير في المساحة، وكانت الخطوات المتخذة بخصوص تحسين التعاملات التجارية قد أزالت عقبات أقل أهمية تعترض نمو الشركة، وأول تلك العقبات المضاربات التي يمارسها المستوردون الصغار الكثيرو العدد(٥٤)، إذ إنَّهم يوصون على طلبات تفوق قدرتهم الى الدفع، مستغلين اندفاع أصحاب المصانع الأوروبيين الذين يسعون إلى إقامة صلات مباشرة مع التجار المحليين، الذين لم يكونوا يمتلكون أي سيولة نقدية، فإنَّهم يعمدون على بيع الطلبات التي أوصوا عليها تجار المفرد مسبقًا وبالدين لمدة ثلاثة إلى خمسة أشهر، ثمَّ يصرفون وصل الأمانة أو ما يعرف (بالكمبيالة) التي يأخذونها على تجار المفرد لدى الصرافين المحليين، بعد أَنْ يخصموا لهم ما بين ٩-١٠% من قيمتها، وبالنقود التي يحصلون عليها بتلك الطريقة يستلمون البضاعة التي تصل بأسمائهم(٥٥).

من الطبيعي أَنَّ صاحب الطلب الذي لا يملك نقودًا لا يكون قادرًا على إتمام تلك العملية بنجاح في حالة هبوط الأسعار المحلية للبضاعة التي أوصى عليها، فيضطر بهذه الحالة إلى ممارسة كُلّ الحيل الممكنة لكي يتنصل عن تسلم الطلب الذي أوصى عليه، وبذلك يتحمل المجهز الذي لا يرغب في اللجوء إلى الروتين القضائي، كُلّ الخسارة الناجمة عن بيع البضاعة بالمزاد العلني بعد أَنْ يتخلى الذي أوصى عليها في تسلمها(٥٦).

يُعَدُّ التنافس بين تجار الشركة العثمانية من أهم الأسباب التي أدت إلى ضعف التجارة في الأعوام الأولى للشركة، إذ قام التجار بالبيع بالأسعار التي يحددونها هم وليس وفق الضوابط التي حددتها الشركة، وبذلك حقق كُلّ واحد منهم أرباحًا طائلة تصل إلى ٣٠% قياسا بغيره من التجار المنافسين، وقد عالجت الشركة ذلك الأمر بأنْ أخذت ترسل إلى عملائها قائمة

تجدد فيها أسعار المشتريات والمبيعات، ولاسِيَّمَا الأجواخ[٥٧]،وجاء تدخل الشركة بسبب ضعف الربح للتجارة من خلال تصرف التجار العاملين في الشركة لأرباحهم الشخصية مما يعود بالخسارة للشركة لذا حددت اسعار البضائع.

المحور الرابع : نجاح الشركة في عملها التجاري في الشرق حتى عام ١٥٨٨

بعد أَنْ بحثنا سابقًا عن الأسباب التي أدت إلى ضعف الشركة في الأعوام الأولى لتأسيسها سنقوم بدراسة نجاح الشركة وبحسب ما أعلنت في أعوامها الأولى الخمسة، فقد أعلنت أَنَّ التجارة سلكت طريق النجاح منذ بدايتها منذ أَنْ استأجرت السفن، فارتفعت أرباحها إلى ٣٠٠% في عام ١٥٨٦، فقد أرسلت الملابس والقصدير إلى اسطنبول، وسوريا، ومصر، وبالمقابل كانَت تستورد الحرير، والخام، والقطن، والصوف، والغزل، وأعلنت الشركة أَنَّها أنفقت خمسة وأربعين ألف جنيه إسترليني في دعم تجارتها حتى عام ١٥٨٤، وأَنَّ سفنها توافدت عشرات المرات على موانئ الشرق[٥٨].

سعى هاربورن لترسيخ مكانة انكلترا كدولة مهمة لدى الباب العالي، وذلك من خلال تقديم الهدايا الثمينة، للتغلب على مكانة فرنسا لدى العثمانيين، فكان ذلك التنافس الأقوى خلال تلك المُدّة بعد عام ١٥٨٣، إذ كانت فرنسا تفوق باقي الدول الأوروبية من حيث التجارة في الأراضي العثمانية، السبب الذي لطالما جعل النزاع بين الطرفين بصورة مستمرة.

غادر هاربورن اسطنبول في ١٣ آب ١٥٨٨ وتولى ادوارد بارتون*Edward Barton* السكرتير لهاربورن كافة السجلات، وتسلم قائمة المهام العامة، وذلك بصورة مؤقتة حتّى يتم تعيين سفير جديد للسفارة الانكليزية في اسطنبول[٥٩].

تفاخرت الشركة بأَنَّها قامت في تلك السنوات الخمس من وجودها بتوظيف تسع عشرة سفينة تضمنت أَكبر السفن المعروفة بأعمال التجارة، كانَ على متنها ٨٢٧ تاجرًا في سبع وعشرين رحلة، وأَنَّ الشركة دفعت لقاء تلك الرحلات مبلغًا قدره ١١,٣٥٩ جنيه إسترليني، وأَنَّها قامت ببناء سفنها الخاصة بها[٦٠].

كانت البضائع تدخل اسطنبول باسم اوزبورن وستيير على متن السفينة Harcules هرقل كما استوردت الشركة كميات من البضائع الشرقية، وهذه المواد تستورد بكميات كبيرة ،

استوردت اللون القرمزي ١٠٠رطل والقرنفل ٥٨٠ رطل، والصولجان ٤٣٨ رطل، القصب الهندي ٤٢٠ رطل، والزنجبيل ٥٥٠ رطلاً، والكركم٦٠٠ رطلاً، والفستق ٢٠٠ رطل، والحرير الخام ٩,١٣٣ رطل، والكشمش ٦١٣,٣٠٠ رطلاً، والحرير الدمشقي ١٠,٨٥٠رطل، والزيت الحلو ٦ براميل، وجوز الطيب ٤٩,٧٠٥ رطلاً، فلفل بارد ٨,٣٨٠ رطلاً، يانسون ١,٠٠٠ رطلاً، القرفة (الدارسين) ٢,١٦٩ رطلاً. وغيرها من البضائع وهي واردات العام ١٥٨٨[٦١].

الخاتمة

شكلت الشركة العثمانية الانكليزية مشروعا تجاريا لتوسيع النشاط السياسي والتجاري لإنكلترا فيما وراء البحار، وكان تأسيسها نتيجة لمتطلبات التجارة الخارجية وحاجة انكلترا للتجارة والدعم الدبلوماسي والسياسي من خلال التجارة والحصول على السيادة البحرية وحصول الشركة على الدعم من التاج، وقد اسهمت الملكة اليزابيث في تأسيسها، اذ أرادت انكلترا تكوين شبكة تجارية في الشرق، والحصول على نفوذ سياسي يدعم مكانتها ويرسخ نفوذها في حوض البحر الابيض المتوسط.

شهد نشاط الشركة العثمانية للمدة ١٥٨١–١٥٨٨ عقبات عدة اهمها التنافس مع فرنسا والبندقية، فضلا عن الخلاف بين الشركة والملكة حول تغطية مصاريف السفير وراتبه وانتهى الخلاف بالزام الشركة بذلك.

قام هاربورن بتعيين المحطات التجارية في اراضي الدولة العثمانية وتعيين قناصل تابعين للشركة في هذه المحطات، وحققت الشركة ارباحا كبيرة خلال المدة ١٥٨١–١٥٨٨، اذ استوردت الحرير والتوابل والصبغة النيلية، وصدرت الصوف الانكليزي، فضلا عن الرصاص والقصدير.

The Commercial Activity Ottoman in the East 1581-1588

A Paper derived from M.A. Thesis

Keyword: Commercial, Ottoman ,East

Abstract

Asst. Prof.Wasiam Ali Thabit ***M.A. Candidate***

University of Diyala ***Saria Quddouri Lateef***

College of Education for Human Sciences

The European Trade activity in the Near East is considered one of the most important topics that require new studies to reveal its significant aspect . Over the centuries , the economic factor is regarded as one of the most significant factors which are stirring historical events as the relation of this factor to life of people, their incomes and way of living .

Trade is viewed as the economic corner store in the life of man , the commercial field adopted the mission of transmitting culture from one country to another through trade route among countries . The establishment of Ottoman company in 1581 was an opening for commercial period between England and East (Osmania state) to show the connection of trade to politics and the change of commercial companies to political institution . the Ottoman company is the beginning of community development and base of commercial and political relationship with Osmania state and it is affected with the England's interior events which effects on England's exterior interests.

المصادر والهوامش

(١) ولد وليام هاربورن عام ١٥٤٣ في مدينة اليارمون في لندن، وشغل في بداية عمله عضو البرلمان للشؤون العامة، واختير لإنعاش تجارة لندن مع الدولة العثمانية، فبعث إلى اسطنبول، لكسر الاحتكار للسلع التي كانت بأيدي الفرنسيين والبنادقة، لعب دورا مهما في دعم العلاقات بين الطرفين، أي بين السلطان مراد الثَّالث والملكة إليزابيث، وبذلك سمي "**خادم الملكة**"، وقد رافقه إلى اسطنبول اوزبورن وستيبر.

Basak Celiktemel, A study of the third English Ambassador Henry Lello's Report on the Ottoman Empire (1597-1607), Master of Arts in History Istanbul Bil Gi University, 2012, p.16-17.

(٢) ليلى الصباغ، الجاليات الاوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٢، ص٦٠٦.

(3) Chole Houston, The New Worlds Refected: Travel and Vtopia in the Early Modren period, Al Shgate England, 2010, p.99.

(4) Richmord Barbour, Before Orienta Lism London's Theatre of the East 1576-1626, Cambridge University Press, Cambridge, 2003, p.149.

(٥) عند تعيين فورستر أرسل هاربورن خطابًا تضمّن بعض التوصيات للقناصل التابعين للشركة، ومنها أهمية الحفاظ على سلامة التجار، وأَنَّه يجب أَنْ يعمل عملًا مرضياً للرب، وعن أهمية معاملة نائب القنصل، فضلًا عن تحذيره من التهور، والغضب، وعدم التعامل مع البضائع والسلع من دون علم مجلس المحكمة التابع للشركة، وأَنَّ بداية كُلّ عام جديد عليه إرسال الحسابات كاملة للمحكمة، وعن إرسال بضائع الشركة من توابل وفلفل وأسعارها. للمزيد من التفاصيل عن خطاب هاربورن لفورستر ينظر:

Kenneth Parker, Early Modern Tales of Orient British Library, London, 1999, p.49-50.

(٦) ليلى الصباغ، المصدر السابق، ج٢، ص٦٠٩.

(7) M. Epstein, The Early History of the Levant Company, London, 1968, p.18.

(8) Kenneth Parker, op.cit., p.50.

(9) Alfred Wood, op.cit., p.14.

(١٠) شمران العجلي، بغداد في مؤلفات الرحالة الأجانب من القرن السادس عشر حتّى القرن التاسع عشر الميلاديين، تحقيق: عبدالجبار ناجي وأنيس عبدالخالق محمود، منشورات بيت الحكمة، بغداد، ٢٠١٣، ص١٥-١٦.

(١١) ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التأريخي، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج٤، ص٢٣٨٢-٢٣٨٣.

(١٢) تاجر لندي مشهور، كوّنَ ثروة طائلة عن طريق التجارة الشرقية، وقد زود ابليدرد هاكويت بتقرير مفصل عن الكارثة التي أحاطت بالمجموعة التي وصلت رحلتها إلى الهند، وقد كتب ثلاث رسائل تخصه وجدت فيما بعد ضمن أوراق هاربورن اسطنبول، الأولى مؤرخة في ١٤ تموز ١٥٨٣ من بغداد، تتعلق بالوصول وخطط المستقبل، والثانية مؤرخة في ٦ تشرين الثَّاني ١٥٨٣ من البصرة موقعة من قبل ابليدرد وهي مهمة، والثالثة مؤرخة في ٢٢ كانون الثَّاني ١٥٨٣ من البصرة كانت تلك الرسائل غاية في الأهمية حول الطرق التجارية وكيفية التجارة بها، وقد أدى ايليدرد دورًا مهمًا في تأسيس شركة الهند الشرقية ١٦٠٠، توفي في ١٦٣٢. Boies Penrose, The Travel and Discovery in the Renaissance 1420-1620, Oxford University Press, London, 1952, p.199.

(١٣) سبق لنيوبري أَنَّ زار من قبل تلك الرحلة حلب، وبغداد، البصرة، وهرمز، وبعض المناطق الأخرى في فارس التي وجدها مُزدحمة بالتجار. للتفاصيل عن تلك الرحلة ينظر: Ibid, p.198-201.

(١٤) هو الإمبراطور (أَكبر خان) (١٥٤٢-١٦٠٥) ابن هايون، وسليل أسرة تيمورلنك أباطرة المغول، ابتدأ حكمه عام ١٥٥٦ كانَ عمره أربعة عشر عامًا، تولى عليه الوصاية وزير أبيه ومستشاره، وترك

إمبراطورية واسعة شملت بين رعاياها المسلمين والهندوسيين، وخلفه ابنه الأكبر جنكيز خان. شمران العجلي، المصدر السابق، ص١١٦.

(15) J. Horton Ryley, Ralph Fitch English Pioneer to India and Burma, London, 1899, p.256.

(١٦) ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التأريخي، ج٤، د.ت، ص١٩؛ شمران العجلي، المصدر السابق، ص١١٧.

(١٧) تبين فيما بعد أَنْ تخلف اثنين من البعثة الانكليزية في البصرة، واصل كُلّ من فيش، ونيوبري، ووليم ليرز طريقهم إلى هرمز، وتم أسرهم وإرسالهم إلى كوا للمحكمة، وبعد تخلفهم من السجن مثلوا أمام الإمبراطور أَكبر خان وقدموا لَهُ رسالة الملكة إليزابيث. علي مدلول راضي الوائلي، شركة لنج للملاحة ١٨٦١-١٩١٤ دراسة تاريخية، رسالة ماجستير غير منشورة، كليّة الآداب، جامعة بغداد، ٢٠١١، ص١٦؛ Boies Pcnrose, op.cit., p.105-201.

(١٨) تخلف جميس ستوري بينتر في البصرة، وكان يمتهن الرسم، فضلًا عن كونه تاجرًا، وكان الهدف من رحلته ارتياد طريق الفرات، وبيان مدى صلاحيته للتجارة، واشترى البضائع وأتفق مع بضع الملاحين لإيصاله للبصرة .ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، مكتبة اليقظة، بغداد،١٩٨٥،ص١٢.

(١٩) ليلى الصباغ، المصدر السابق، ج٢، ص٦٠٦؛ Alfred Wood, A History of the Levant Company Second Impression, London, 1964, p.15.

(٢٠) محمود عبدالواحد محمود القيسي، النشاط التجاري والسياسي لشركة الهند الشرقية الانكليزية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب-جامعة بغداد، ١٩٩٣، ص٣٦-٣٧.

(٢١) ليلى الصباغ، المصدر السابق، ج٢، ص٦٠٧.

(٢٢) شمران العجلي، المصدر السابق، ص١٢٢.

(23) J. Horton Reley, op.cit, p.299.

(24) F.R Chesney, Expedition for the Survey Of the Rivers Euphrates and Tigris, Vol.2. London, N.D, p.534.

(25) Zaki Saleh, Mesopotamia (Iraq) 1600-1910), Study in British foreign Affiars, Baghdad, 1957, p.29.

(٢٦) زكي صالح، موجز تأريخ العراق، منشأ النفوذ البريطاني في بلاد ما بين النهرين، ط١، بغداد، ١٩٤٩، ص٣٠٨-٣١٢.

(27) J. Horton Reley, op.cit., p.29.

(٢٨) بيرا أوبيرجلBirajik: وهي مدينة في محافظة أورفة جنوب شرق تركيا، تقع على الضفة اليسرى من نهر الفرات، حيث من هناك تبدأ الملاحة في نهر الفرات. شمران العجلي، المصدر السابق، ص١١٧.

(29) H.G. Rawlinson M.A., F.R. His S.m Transactions of the Royal historical Society, The Embassy of William Harborn Constantionple 1583-1588, (10 November), 1921, p.23.

(30) Ibid, p.54.

(31) George Vnwin, The Merchant Adventurers Company in the Reign of Elizabeth, The Economic History, Review, Vol.1, No.1, (Jan,1927), p.7;

عبدالكريم رافق، مظاهر من التنظيم الحرفي بلاد الشام في العهد العثماني، مجلة دراسات تاريخية، العدد الرابع، دمشق، نيسان ١٩٨١، ص٤٥.

(32) Despina Vlami, Lrading with Ottomans: The Levant Company in Middle East, L.B. Tauris Goltd, London, 2015, p.114.

(33) George Wnwin, op.cit., p.62; H.E. Lehman, Lives of England Monarchs, Arthur House, London, 2005, p.272.

(34) Al fred Wood, op.cit., p.287.

(٣٥) صلاح أحمد هريدي علي، الجاليات الأوروبية في الإسكندرية في العصر العثماني دراسة وثائقية في سجلات المحكمة الشرعية (٩٢٣-١٢١٣/١٥١٧-١٧٨٨)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص٢٨.

(٣٦) جون سندرسون: رجل أعمال ذو حال ميسور، انكليزي ولد في لندن، عمل تاجرًا مغامرًا لمدة سبعة أعوام، وفي تشرين الأوّل ١٥٨٤ أبحر إلى الشرق وفي آذار ١٥٨٥ وصل اسطنبول، ووضع تحت تصرف هاربورن، وقام بعدّة رحلات بحرية، ارتبط مشروعه للوصول إلى الهند الشرقية، البداية كانت في أيلول ١٥٩٠ عندما كانت هناك سفينتين سميت Samarita سامريتا و Pinnas بنياس من دارموث Darlmonth إلّا أنَّ سفينة بنياس غرقت، وأنقذ طاقمها من قبل سفينة أُخرى، والسفينة الأخرى تحطمت، ورجع سندرسون إلى لندن.

William Foster, op.cit., p.VI, VII, XV, XVI, XVII.

(37) Rudolph P. Mathee, The Politics of Trade in Safavid Lran silk for Sivler 1600-1730, Cambridge University Press, 2002, p.23-24.

(٣٨) بقي هارفي ميلرز في اسطنبول لعدة أعوام، ولم يتم تعيين خليفة لَهُ وعادوا الانكليز للعمل تحت راية فرنسا مرة أُخرى ولمدة أربعة أعوام، واستمرت السفن الانكليزية بالتوجيه إلى الإسكندرية خلال الأربعة أعوام حتّى تعين قنصل بدل من هارفي ميلرز، وكان قد قل عدد التجار الانكليز في مصر بعد العام ١٥٨٦. سونيا ي. هاو، في طلب التوابل، ترجمة: مُحَمَّد عزيز رفعت، القاهرة، ١٩٥٧، ص٣١٤؛ Rudolph P. Mathee, op.cit., p.23-24.

(39) John Bruse, Annals of the Honorabe East India Company from ther Establish Ment by the Charter of Queen Elizabeth 1600, Toounion of the London, 1808, p.56; G.R. Elton, England Undors Tudors, Third Edition, London, 1991, p.336.

(٤٠) استولى ملك اسبانيا فيليب الثاني على معظم التجارة الانكليزية في اسبانيا عام ١٥٨٥، مِمَّا سبب تفاقماً في تدهور العلاقات بين انكلترا واسبانيا، ورغب ملك اسبانيا بأنْ يجعل ماري ستيوارت (ملكة اسكتلندا)، محل الملكة إليزابيث على العرش الانكليزي ، فتآمر على سيادتها، بالمقابل استجابت الملكة اليزابيث لمساعدة للأراضي المنخفضة (هولندا) للثورة على الحكم الاسباني، مِمَّا سبب تدهوراً كبيراً في العلاقات بين البلدين. ينظر: أ.ل. راوس، التأريخ الانكليزي، ترجمة: مُحَمَّد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٤٦، ص٨٩.

(41) S. A. Skillter, "The Orgnization of the First English Embassy in Istanbul in 1582" in Asian Affairs, Vol.X. part, Jun, 1979, p.154-160.

(42) Ibid, p.165.

(43) Maria Black Wood, Politics, Trade and Diplomacy: The Anglo –Ottoman Relationship, 1575- 1699, Yala University, 2009, p12-13.

(44) J. Theodore Bent, Early Vog ages and Travels the Levant Printed for the Hakluyt Sciety, London, 1892 , p.IX

(45) Basak Celikemel, A Study of Third English Ambassdor Henry Lello, Robert on the Ottoman Empire (157- 1607), Master of Artsin History Graduate School of Social Scienes, Istanbul, Bilge University, 2012, p.26.

(٤٦) محمود عبدالواحد محمود القيسي، المصدر السابق، ص٢٦-٢٧.

(٤٧) الأرمادا: ويقصد وبه أعظم أسطول اسباني، أُنشئ في القرن السادس عشر، ويسمى أيضًا بالأرمادا الكاثوليكية Armada Catolica تهيأت في مطلع عام ١٥٨٨ للهجوم على انكلترا حاصلة على قلاعها الصلبان والأعلام، وكانت تتألف من ١٣٠ سفينة حمولتها ٨٥ ألف طن وتحمل ٣٠ ألف مقاتل، و ٢٤٠٠ قطعة من باريات المدافع، وكانت أعظم حشد لقوة بحرية في العالم يقوده المركينز سانتا كروز Santa Crose، وكان عدد الملاحين يبلغ ثمانية آلاف وستة وستين ملاحًا، وقوات الانكليز نحو مئتي سفينة انكليزية بقيادة السير فرانيس دريك Strmress Drik، واستخدم الانكليز قاذفات اللهب وانتصر الأسطول الانكليزي، واسر كُلّ السفن التي كانت تحمل الإمدادات إلى الأرمادا، وكانت الخسارة قاسية للأسبان بحيث دمرت أغلب سفنهم، وأحرقت مخاون البرحية، وسلبت الكثير من المعدات. للمزيد من المعلومات ينظر: روبرت بالمر، تاريخ العالم الحديث، ترجمة : محمود حسين الأمين، ج١، مكتبة الوفاء، الموصل، ١٩٦٤، ص٢٠٤؛ Elton, op.cit., p.373.

(٤٨) هربرت فشر، أصول التأريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية، ترجمة: زينب عصمت وأحمد عبدالرحيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص٢٢٩.

(49) Elton, op.cit., p.374.

(٥٠) روبرت بالمر، المصدر السابق، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٥١) بوندار يفسكي، سباستيان إزاء العالم العربيّ، ترجمة: خيري الضامن، دار التقدم، موسكو، ١٩٧٥، ص١٥-٢٠.

(52) R.W. Frrier, The Terms and Canditions Under Witch Bulletin of the School of Orntal and African, University of London, Vol.49, No.1, Cambridge, 1986, p.53.

(53) Alfred Wood, op.cit., p.16-17.

(54) R.W. Ferrier, op.cit.. p.59.

(٥٥) الكسندر داموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة: هاشم صالح التكريتي، ط٢، شركة دار العراق للنشر المحدودة، بيروت، ٢٠٠٩، ص٢٦١-٢٦٥.

(56) H. G. Rawlinson, op.cit., p.29.

(57) Ibid, p.38.

(58) Alfred Wood, op.cit., p.17.

(59) Andrw Hadfield and Paul Hammord, Shakespere and Renaissance Europe, Bloomsbury, London, 2004, p.223.

(60) Al Fred Wood, op.cit., p.17.

(61) William, Sam aspects English trade with the Levant sixteenth century the English Historical, Review ,vol.70,No,276,Jul.1955, p.410-510.